الرصافي الناقد

الدكتور احمد مطلوب

١

معروف الرصافي شاعر العراق والعروبة الخالد ، علم من أعلام الفكر الحديث ، تغنى بشعره آلام الأمة العربية وآمالها ، وصور الحياة بكل أفراحها واتراحها • ولد في بغداد أيام الحكم العثماني وظل يغرد أعذب الشعر وأمتنه حتى مات فيها صباح الجمعة السادس عشر من آذار سنة ١٩٤٥ م •

وعرف الرصافي بمؤلفاته وبحوثه القيمة في مختلف الموضوعات الى جانب شهرته بالشعر الرصين وديوانه الذي يُعَدُّ من أضخم ما تركه شعراء العرب المعاصرون • وقد وجدت في أثناء البحث عن « النقد الأدبي الحديث في العراق »[١] آراءاً كثيرة للرصافي تستحق أن تفرد بالبحث لتعطي فكرة واضحة عن النقد عنده• وهذه الآراء منثورة في بعض كتبه وبحوثه التي نشرها في الصحف والمجلات •

كتب وبحوث :

وكتب الرصافي التي تنفع الباحث في دراسة نقده هي :ـ

١ ـ الأدب العربي ومميزات اللغة العربية في أدوارها المختلفة :

وهو محاضرات ألقاها الرصافي على مدرسي المدارس الرسمية في صيف ١٩٢١ م وطبعت بمطبعة العراق في السنة نفسها[٢] • وقد تحدث فيها عن مميزات اللغة العربية في أدوارها المختلفة ، وعن العامية واختلاف لهجات القبائل ، والأدب وما يتصل بـه •

٢ ـ دروس في تاريخ آداب اللغة العربية :

والكتاب محاضراته التي ألقاها سنة ١٩٢١م وطبعها باسم « الأدب العربي »، ولكنه أضاف اليها وحذف منها وأعاد تبويبها ونشرها ملحقة بمجلة«التربية والتعليم» للاستاذ ساطع الحصري ، ثم فصلت كراساتها عن أجزاء المجلة وضم بعضها الى بعض فألف منها هذا الكتاب • وقد تحدث في هذا الكتاب عما يستلزم النظر في

---

(١) وهو المحاضرات التي ألقيتها على طلبة معهد البحوث والدراسات العربية بالقاهرة عام ١٩٦٨ ، وطبعت في القاهرة بنفقة المعهد .

(٢) اعيد طبعه عدة مرات وآخرها في سنة ١٩٥٤ .

تاريخ اللغة والادب ، وطبقات الشعراء ، والفصحى والعاميـــة واختـلاف لهجات القبائـل[٣] .

٣ ـ نفح الطيب في الخطابة والخطيب :

عهد الى الرصافي تدريس الخطابة العربية في مدرسة الواعظين بالقسطنطينية، ولم يكن عنده من ا لكتب التي يرجـع اليها في هـذا الفن سوى كتاب « البيـان والتبيين » للجاحظ ، فقرأه واستخرج منه هذه الرسالة وأضاف ما اطلع عليه من أحوال خطباء العصر الحديث.وفي هذا الكتاب نجد آراء الرصافي في كتاب الجاحظ وخطباء العصر وغير ذلك[٤] .

٤ ـ رســائل التعليقـات :

وهو كتاب فيه ثلاث رسائل للرصافي[٥] ، الأولى ما علقه على كتاب التصوف الاسلامي للدكتور زكي مبارك ، والثانية ما علقه على فصـول مـن كتاب « النثر الفني » لمبارك أيضا ، والثالثة ما علقه على كتاب التاريخ الاسـلامي للمستشرق الايطالي كايتاني . وقد أثار هذا الكتاب ضجة عنيفـــة لما فيه من آراء حـــرة وانتقادات . ويعطينا هذا الكتاب صورة واضحة عن اسلوب الرصافي في نقـــد الكتب والتعليق عليها والتعقيب والرد على الآراء .

٥ ـ على باب سجن أبي العلاء :

وهو جزء[٦] من كتابه « رسائل التعليقات » ، كتبه بعد أن قرأ كتاب « مع أبي العلاء في سجنه » للدكتور طه حسين ، وقد خالف الرصافي الدكتور طه في كثير مما ذهب اليه من الآراء وناقشه فيها ، فمثلا يرى طه حسين ان اللزوميات نتيجة الفراغ لا نتيجة العمل ، ويرى الرصافي أن قدرة أبي العلاء اللغوية هـي التي جعلته يقول لأهل الفصاحة واللسن من أهل زمانه : « أيها الناس انني أقيد نفسي في البيان بقيود تشق عليكم وامشي مقيداً بها معكم في طريق البيان الذي تسلكونه فأسبقكم وأنا مقيد وتعجزون عن اللحاق بي وأنتم مطلقون » وهكـــذا فعل في اللزوميات فكان المجلّي في حلبة البيان وتركهم وراءه يخبون وهم بـــين

---

(٣) طبع أول مرة ببغداد سنة ١٩٢٨ ثم اعيد طبعه بعد وفاة الرصافي .
(٤) طبع بالاستانة سنة ١٣٣٦ الموافق سنة ١٩١٧ م .
(٥) طبع للمرة الثانية في بيروت سنة ١٩٥٧ م
(٦) طبع ببغداد سنة ١٩٤٦ م .

المصلى والسكيت »[٧] .

٦ ـ آراء أبي العلاء المعري :

ألف الرصافي هذا الكتاب مرتين : الأولى سنة ١٩٢٤ ، والثانية سنة ١٩٣٨ ، وقد نشرت منه فصول في جريدة المفيد البغدادية ونشر بعد وفاته ببغداد سنة ١٩٥٥م . وقد جمع الرصافي في هذه الرسالة المتفرق من شعر أبي العلاء في اللزوميات وصنفه ، ثم شرحه وعلق عليه .

٧ ـ خواطر ونوادر :

وهي رسالة جمع فيها ما عنّ له من خواطر مختلفة منها الادبية ، ومنها الفنية والاجتماعية ، ومنها العلمية والدينية . كتبها في الفلوجة سنة ١٩٤٠ ولم تنشر.ومما تناول الرصافي فيها كلمة«دعاية»ورأيه في الأغاني،والقرآنوالراديو وغير ذلك[٨] .

٨ ـ الأدب الرفيع في ميزان الشعر وقوافيه :

جمع الرصافي في هذا الكتاب ما ألقاه من الدروس في العروض والقافية على طلبة دار المعلمين العالية (كلية التربية) ببغداد[٩] اتسم هذا الكتاب بسمة التجديد والتحرير وفتح باب الاجتهاد لاوزان الشعر وشجع على التقدم في موسيقى الشعر العروضية . وقد اوضح الرصافي أهداف الكتاب في مقدمته وهي أهداف أوحتها طبيعة الشاعر الذي يخشى على المتأدب من أن يقع في الخطأ العروضي .

وللرصافي بحوث نشرها في الصحف والمجلات تتصل بالنقد والأدب وهي :

٩ ـ نظرة اجمالية في حياة المتنبي :

نشره الرصافي في جريدته « الأمل »[١٠] وطبع بعد وفاته ببغداد سنة ١٩٥٩ م . وفي هذا البحث حديث عن حياة المتنبي وسلوكه مع الناس والأمراء ، وكلام على شاعريته .

---

(٧) على باب سجن أبي العلاء ص ٤٩ . وينظر كتاب الرصافي ـ صلتي به ، وصيته ، م لفاته ـ ص ١٥٦ .

(٨) ينظر الرصافي ـ صلتي به ، وصيته ، مؤلفاته ـ ص ٩٦ ، ومحاضرات عن معروف الرصافي ص ٢٤ .

(٩) طبع ببغداد سنة ١٣٧٥ هـ ـ ١٩٥٦ م .

(١٠) الاعداد : ٨ ، ٩ ، ١٢ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٧ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٤ ، ٢٦ ،الصادرة بين ٩ تشرين الاول ١٩٢٣ و ٣١ تشرين الاول ١٩٢٣ .

وقد أوضح الرصافي رأيه في المتنبي وقارنه بأبي العلاء المعري الذي كان شامخاً أبدا .

١٠- نظرة انتقادية في الادب :

نشرها في جريدته « الأمل »[١١] ، وفيها تحدث عن القصيدة التي ادعاها سبعون شاعراً ، والتي مطلعها :

صـــاح في العـاشـــقين يـالكنـانـــة
رشـــأ في الجفـــون منـــه كنـانـــة

وعن لامية ابن الوردي ، وأوضح زيف ما ذهب اليه النقاد في استحسان هاتـين القصيدتـين .

١١- طبقـات الشـــعرا ء:

نشره في جريدته « الأمل »[١٢] ، وأدخله في كتابه « دروس في تأريـخ آداب اللغة العربية »[١٣] . وقد أبدى الرصافي رأيه في تصنيف الشـــعراء الى طبقات واوضح ما يذهب اليه في هذا التصنيف .

١٢- حديث للرصافي نشر في مجلة « الحرية »[١٤] ، تكلم فيه على الشعر وتطور شاعريته ، ومن ولع به من الشعراء الأقدمين ، ونظره الى الشعر الجاهلي والاسلامي والعصري وشعراء الجيل ومستقبل الشعر العربي والشعر المنثور والشعر الافرنجي المترجم .

١٣- حديث للرصافي نشر في المجلة الجديدة للاستاذ سلامة موسى سنة ١٩٣٦ ، وقد أجراه معه أسعد حنا مندوب المجلة ، تكلم فيه على اتجاهات الشعر الحديث ومقام الشعر ومكانه من الفنون الجميلة ، وامارة الشعر ، وغير ذلك .

١٤- الشـــعر :

وهو بحث تحدث فيه الرصافي عن تعريف الشعر ومبدئه ونشأته ونشـوء السجع ودور الوزن في الشعر ، وتكلم على عامل الاتفاق والمصادفة وعامل الغناء والرقص في الوزن ، وأشار الى أول مولود من الشـعر ، وانتهى الى ان السجـع

---

(١١) الأعداد : ٣٣ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، الصادرة بين ٨ تشرين الثاني سنـــة ١٩٢٣ و ١٣ منه .
(١٢) الأعداد : ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، الصادرة في ٣ ، ٤ ، ٥ ، كانون الاول ١٩٢٣ .
(١٣) ص ٥٧ ــ ٦٨ .
(١٤) العدد الاول ، السنة الثانية (تموز ١٩٢٥) .

حلقة من حلقات الاتصال بين النثر والنظم ، وان الوزن متولد من السجع .

وقد نشر البحث في كتاب « سحر الشعر »[١٥] للاستاذ رفائيل بطي ، ونشره الرصافي في كتابه « دروس في تأريخ آداب اللغة العربية »[١٦] .

هذه كتب الرصافي وبحوثه في الأدب ونقده ، وقد رجعنا اليها في تصنيف آرائه النقدية التي تعد على جانب عظيم من الأهمية للذين يدرسون حياة النقد الأدبي الحديث في العراق ، واستفدنا منها كثيراً في تصوير « الرصافي الناقد » .

وبعد هذه النظرة العجلى في مؤلفات الرصافي النقدية والأدبية ، نذكر آراءه النقدية والتفاتاته البديعة في الأدب ، وهي آراء والتفاتات أهملتها الدراسات الكثيرة التي صدرت عن الرصافي وشاعريته وفنون شعره المختلفة . ولعلّ ما نكتبه يدفع الدارسين الى الخوض في المباحث اللغوية والنقدية عند شعرائنا الكبار الذين لم يشتهروا بالشعر وحده بل عرفوا بالعلم الغزير والآراء السديدة في اللغة والأدب والاجتماع والسياسة وغيرها .

٢

الادب وتأريخه :

تحدث الرصافي عن الأدب في كتابيه « الأدب العربي » و « دروس في تأريخ آداب اللغة العربية » ، وهذان الكتابان من أقدم الكتب التي تحدثت عن الأدب العربي في العراق انْ لم نقل في البلاد العربية ، لان التأليف في الأدب يومذاك كان في بدايته ولم توضع الاّ كتب قليلة كان بعضها يتبع طريقة القدماء ، وكان البعض الآخر يستفيد مما استجد في عالم التأليف الغربي .

ان الباحث في تأريخ اللغة ليركب بحراً عظيم اللجة متلاطم الأمواج ، لان البحث عن اللغة من الوجهة التأريخية يستلزم النظر في أمور كثيرة ، وهي كما يرى الرصافي النظر في مفرداتها ، وتراكيبها وأساليبها ، والمنظوم والمنثور ، وأحوال المتكلمين باللغة ، وبيئتهم ، وأحوال من جاورهم ، وحياة العلماء والأدباء والرواة والقصاص ، والكتب التي تركها هؤلاء العلماء والأدباء .

ولما كان تأريخ الأدب واسعا لا مجال للباحث أن يلم به ويسبر غوره

---

(١٥) ص ٨٤ ـ ٩٦ .
(١٦) ص ٤٩ ـ ٥٦ .

ويكشف مجاهله ، يرى الرصافي ان يُجعل له موسوع خاص به ، يقول : « أرى الآن انه يجب أن يجعل لهذا الفن ـ أعني فن تأريخ آداب اللغة ـ موسوع خاص بـه « دائرة معارف » يلغى في تأليفه الختام كما يلغى في وضعـه عـدد السـنين والأعوام ، وأن يشترك في تأليفه من شاء من العلماء على أن لا يكتب كل واحـد منهم الا في مسألة خاصة من مسائله فتضم هذه الكتب بعضها الى بعض وتجعـل موسوعاً خاصا بهذا الفن ويبقى آخر هذا الموسوع مفتوحاً لمن شاء البحث والتنقيب في العصر الحاضر ولمن يجيء من بعدهم في الأعصر الآتية ؛ ذلك لان حياة اللغة مترامية في القدم ، ونشأتها متغلغلة في مطاوي ماكرّ من الدهور ؛ لانها وجدت يوم وجد الانسان وارتقت بارتقائه الى يومنا هذا »[١٧] .

والفروع التي يمكن تقسيم هذا الفن اليها هي : تأريخ مفردات اللغـة ، وتأريخ التراكيب والجمل ،وتأريخ المعاني ، وتأريخ المنثور ، وتأريخ المنظوم ، وتأريخ المتكلمين باللغة ، وتأريخ مشاهير أهل العلم والأدب ، وتأريخ آثار هؤلاء المشـــاهـــير .

يقول الرصافي بعد أن تحدث عن هذه الفروع : « هذه هي الفروع التي يمكن على ما أرى تقسيم تأريخ آداب اللغة اليها ، وهذا التقسيم وان لم يقل بـه أحد قبلي الا انه منطبق على الواقع الذي نشاهده فيما يختص بتاريخ اللغة وآدابها من مؤلفات القوم قديما وحديثا »[١٨] .

وهذه التفاتة حسنة من الرصافي في ذلك الوقت الذي لم تكن الدراسات الأدبية قد وصلت فيه الى ما نراه اليوم ، وهذه النظرة تدل على عبقريته التي لـم تنفتح على الشعر فقط ، بل ضمت اللغة والنقد والرأي السديد .

وقد عرض الرصافي رأي الذين يقولون في تعريف الأدب بانه « علم يحترز بـه عن جميع أنواع الخطأ في كلام العرب لفظاً وكتابة » ، وناقشه وأظهر فساده، ورأى : «أنّ الأدب صفة الأديب كما ان البلاغة صفة البليغ والفصاحة صفـــة الفصيح »[١٩] ، ولذلك فليس كل ما يكتب أدباً ، وليس كل من يكتب أديباً ، بل الأديب : « كل من أوتي قدرة على البيان بارعة يستطيع أن يتصر ف بها كيفما

---

(١٧) دروس في تأريخ آداب اللغة العربية ص ٩ .
(١٨) المصدر السابق ص ١٨ .
(١٩) المصدر السابق ص ٢٣ .

يشاء فينقل بواسطتها الى مخاطبه كل ما توحيه اليه قواه العقلية التي لا تقل عن قدرته البيانية براعة » ، والأدب : « قدرة على البيان راسخة مؤيدة بالقوى العقلية تتصرف في النفوس قبضاً وبسطاً بما تنقله اليها وتصوره لها من وحي تلك القوى العقلية »(٢٠)

وهذه آراء جديدة كان لها أثر في تطوير الأدب في عهد الرصافي والذين جاءوا من بعده ، ولم تكن معروفة من قبله ؛ لأن الذين كانوا يدرسون الأدب لا يخرجون عمّا رسمه السلف ورددته الأجيال .

وتحدث الرصافي عن غاية الأدب ورأى أنّ ما نادى به بعض المتجددين من أدباء الترك من « ان الأدب لا غاية له » ، غير صحيح ، لانه ليس من المعقول أن تكون القصيدة نفسها الباعث على قولها ، بل لا بد أن تكون هناك غاية من نظمها .

وينقسم الأدب الى منظوم ومنثور ، وينقسم المنثور الى سجع وترسل ، فالكلام ـ عنده ـ ثلاثة أنواع : النظم والسجع والترسل . ومدار هذا التقسيم انما هو على الوزن والقافية وعدمها ، فان الكلام اما أن يخلو من الوزن والقافية وهو الترسل ، واما ان يقترن بهما وهو المنظوم ، واما ان يقترن بالقافية دون الوزن وهو السجع ، وعلى هذا الاساس مرّ الكلام العربي بثلاثة أدوار ارتقى فيها « من البساطة والسذاجة الى التركيب والصناعة » ، وأولها دور النثر المرسل ، وثانيها دور السجع ، وثالثها دور النظم .

ثورة على القديم :

هذه آراء الرصافي في الأدب وتقسيمه ، وهي آراء جديدة في عصره لم يألفها المؤلفون والأدباء يومذاك في العراق ، وقد كان ثائراً على القديم داعياً الى التجديد . يقول في التقليد : « ان كان التقليد قبيحاً في غير الأدب فهو في الأدب أقبح » ثم يقول : ان التقليد ان كان في الأمور العقلية قبيحا فهو في المسائل الأدبية أقبح ، لان هذه المسائل لا يكلف المرء فيها بما هو فوق ذوقه وفهمه بخلاف المسائل الدينية فانّ منها ما هو تعبدي محض ـ يجوز على ما قيل ـ أن يكلف المرء فيه بما هو فوق عقله وفهمه ، وليست كذلك المسائل الأدبية . قد نستحسن بيتاً أو قصيدة من الشعر ونجادل دون بلاغة ذلك البيت أو تلك القصيدة أشدّ الجدال

(٢٠) المصدر السابق ص ٢٦ .

لا لاننا أدركنا حسنهما بأفهامنا بل لمجرد أن صاحب الكتاب الفلاني من كتب الأدب قد استحسنهما أو لمجرد أن فلان الشاعر أو فلان الأديب قد استجادهما كل الاستجادة واثنى على قائلهما أطيب الثناء ، أو لمجرد انهما قد اتفق في انتخابهما أكثر أهل المنتخبات الشعرية فنكون فيما نقول عندئذ مقلدين لا مجتهدين ، وتابعين لا مستقلين ، وجامدين لا مفكرين ، مع اننا لو حكمنا فيهما أذواقنا ورجعنا فيهما الى أفهامنا لرأينا أنفسنا في غنى عن المجادلة دون حسنهما »[٢١] .

ويحاول بعد ذلك أن يبرهن على صحة دعواه فيذكر القصيدة التي مطلعها :

صاحَ في العاشقين يا لكنانه
رَشأ في الجفون منه كنانه

ويذكر اعجاب القدماء بها والتنويه ببلاغتها وفصاحتها والدفاع عنها واتهام كل من لا يرى رأيهم بفساد الذوق ، ثم يأخذ بنقدها موضحاً زيفها وخطل رأي الذين اعجبوا بها كل الاعجاب . ويُعد تحليله لبعض الأبيات نموذجاً لنقده الذي يحاول أن يخرج فيه عما استقرت عليه أذهان المتقدمين ، وتتضح في هذا اللون من النقد رغبة الرصافي في التجديد .

اتجاهات الشعر الحديث :

وللرصافي حديث عن اتجاهات الشعر الحديث أدلى به حينما كان في القاهرة سنة ١٩٣٦ للاستاذ أسعد حنا مندوب « المجلة الجديدة » ومما قاله : « لا يخفى أن الشعر كان في القرون الأخيرة نسخة طبق الأصل في تعابيره وتراكيبه ، اذ كان لا يصور لنا من الحياة الا صوراً محددة في ألواح المدح والهجاء والنسيب ونحو ذلك مما هو معلوم ، أما في اتجاهاته الحديثة فقد أخذ يصور لنا أشياء كثيرة من صور الحياة على اختلاف ألوانها ومنازعها مما لا حاجة الى بيانه لمن تتبع الشعر العصري في اتجاهاته الحديثة . الا ان الشعر الحديث لم يزل في اتجاهاته محدوداً أيضا ، فهناك من مناحي الحياة ونواحيها ما لم يجرؤ الشعر بعد على تصويره . وأكبر مانع يمنعه عن ذلك هو التقاليد البالية والعادات السقيمة التي تقيده وتقيد الحرية الفكرية بقيود وثيقة ، اذ نحن لم نزل في مجتمع يتعاطى في السر ما يراه معيبا في العلانية ، ويفعل في طي الخفاء أفعالاً يرى الجهر فيها بالقول قبحاه

(٢١) جريدة الامل ، العدد ٣٣ (٨ تشرين الثاني ١٩٢٣) .

فالشعر الحديث في اتجاهاته ناقص من هذه الناحية ولا بدّ من أن سيأتي عليه يوم يحطم فيه هذه القيود اذا بلغ المجتمع العربي مبلغه من الثقافة العصرية في العلم والأدب » •

ويتحدث بعد ذلك عن التجديد ويربطه بنهضة العرب ربطاً وثيقاً فيقول : « كلنا ـ معاشر العرب ـ نعتقد باننا اليوم في دور انتباه ، وأن لنا في الوقت الحاضر نهضة سياسية علمية أدبية ، واذا كنا كذلك وكان اعتقادنا هذا صحيحا ـ ولاريب في صحته ـ فكيف يجوز أن لا يكون الشعر في الوقت الحاضر في طريقه الى الازدهار والتقدم • فاذا كنا في تقدم فالشعر في تقدم ، واذ كنا في تأخر وانحطاط فالشعر في تأخر وانحطاط •

نعم ان هناك فريقاً من أهل الأدب يدعون الى التجدد في الشعر وكنما حاولت أن أفهم معنى صحيحاً للتجدد الذي يدعون اليه لم استطع ولم أفهم ماذا يريدون من التجدد • ثم قرّ رأيي ـ على ما استنتجته من أقاويلهم ـ أن التجدد هو تقليد الغربيين في شعرهم وأدبهم مع ان الشعر هو الأمر الوحيد الذي يستحيل فيه التقليد؛ لان الشعر عند كل أمة ليس الا ترجمان ثقافتها العامة في العقل والعواطف والعادات والدين حتى الخرافات • وهذه الأمور كلها تختلف باختلاف الأمم فيها اختلافاً قد يبلغ التناقض ، فكيف يجوز لأمة ترى أمراً من الأمور قبيحاً مثلاً أن تقلد أمة في ذلك الأمر وهي تراه حسنا ؟ قد قلت في جو ابي عن السؤال الأول : ان الشعر كان في منازعه تابعاً لحياة الماضين ، فكان بسبب ذلك نسخة طبق الأصل ، وأما اليوم فقد أخذ يصور لنا صوراً من الحياة الحاضرة وان كان هذا التصوير منه لم يعم جميع نواحي الحياة للسبب الذي ذكرناه على السؤال الأول •

وهذا هو المعنى الصحيح للتجدد الذي يدعونا اليه فريق من الأدباء المتجددين ، اذا صوّر لك الشعر صوراً من الحياة فيها فأطربك بان اقامك وأقعدك ، وسرّك وأساءك ، وأضحكك أو أبكاك ، وانهضك او ثبطك ، فاعلم انه شعر جديد ، وأنه ليس من الشعر الذي هو نسخة طبق الأصل •

فالدعوة الى التجديد في الشعر بالمعنى الذي يعنيه هؤلاء هو الذي أخشى أن تجر الشعر العربي الى الضعف والاضمحلال »[٢٢] •

---

(٢٢) ذكرى الرصافي ص ٢١٠ وما بعدها .

لقد كان الرصافي مجدداً في الاسلوب والمعاني والأغراض ، ولكنه كان تجديداً متزنا ، وكان ثائراً على القديم ولكنها كانت ثورة هادئة .

٣

آراؤه في الشعر :

وللرصافي آراء في الشعر ، ويبدو رأيه واضحاً في قوله :

طابقت لفظي بالمعنى فطابقه
خلواً من الحشو مملوءاً من العبر
اني لأنتزعُ المعنى الصحيح على
عري فاكسوه لفظاً قدَّ من درر
وأَجْودُ الشعر ما يكسوه قائله
بوشي ذا العصر لا الخالي من العصر
لا يحسنُ الشعر الاّ وهو مبتكر
وأيُّ حسنٍ لشعرٍ غير مبتكر(٢٣)

وقوله :

ويارُبَّ معنى دقَّ حتى تخاوصت
اليه من الألفاظ أعينها الخزْرُ
أَرى اللفظ معدوداً فكيف أسومه
كفاية معنى فاته العَدُّ والحصْرُ
وأُفْقَ المعاني في التصوّر واسعٌ
يتيه اذا ما طار في جوه الفِكْرُ
ولولا قصور في اللغا عن مرامنا
لما كان في قول المجاز لنا عذْرُ
ولست أَخصُّ الشعر بالكلم التي
تنظم أبياتاً كما تنظم الدُّرُّ
وذاك لأنَّ الشَّعْرَ أَوْسَعُ من لغا
يكون على فعل اللسان لها قَصْرُ

---

(٢٣) ديوان الرصافي ص ٦٤ .

وما الشعرُ الا كل مارنحَ الفتى
كما رنّحت أعطافَ شاربها الخَمْرُ(٢٤)

تعريف الشعر :

هذا مجمل رأي الرصافي في الشعر أما آراؤه الواضحة الصريحة فهي كثيرة، ويمكن أن نحصرها في بعض المسائل • ومن ذلك تعريفه للشعر ، يقول : « الشعر كالحسن لا يوقف له عند حد وقصارى ما نقول اذا أردنا أن نعرفه : انه مرآة من الشعور تنعكس فيه صور الطبيعة بواسطة الألفاظ انعكاساً يؤثر في النفوس انقباضا أو انبساطا »(٢٥) •

وشرح هذا التعريف على طريقة القدماء الذين يأتون بالتعريف الجامع المانع، ثم يشرحون بعد ذلك ما يدخل في التعريف وما يخرج منه •

وهذا التعريف يتناول المنظوم والمنثور من الشعر ؛ لان الشعر قد يكون في المنثور كما يكون في المنظوم ، ولكن الغالب في المنظوم أن يتخذ لساناً للعاطفة أي واسطة لبيان سانحات الحس والخيال ، بخلاف المنثور فان الغالب فيه أن يكون واسطة لبيان ما هو ثمار العقل ونتائجه • ولذلك أكثرت العرب اطلاق اسم الشعر على المنظوم حتى قال المتقدمون من أهل الأدب في تعريف الشعر انه « كلام ذو وزن وقافية » ، وهو تعريف للمعنى الأعم من الشعر أو للفرد الكامل منه وهو الشعر المنظوم ، والا فان الشعر قد يكون منثورا •

ويذكر الرصافي دليلاً لهذا الرأي فيقول : « ومن الدليل على أنّ العرب لا يخصون الشعر بالمنظوم ما حكاه لنا كتاب الله عنهم من قولهم في النبي انه شاعر اذ قالوا في القرآن : انه قول شاعر ، مع انهم يرونه غير موزون ولا مقفى ولم يرد الله عليهم بأكثر من قوله : « وما هو بقول شاعر » • ولو كان الشعر عندهم خاصاً بذي الوزن والقافية للزم أن يقال لهم في الرد عليهم كيف تقولون انه قول شاعر وهو عديم الوزن والقافية •

ومما يروى عن الأصمعي انه قال : قلت لبشار بن برد : اني رأيت رجال الرأي يتعجبون من أبياتك في المشورة • فقال : أما علمت أن المشاور بين احدى

---

(٢٤) ديوان الرصافي ص ١٨٣ .
(٢٥) دروس في تأريخ آداب اللغة العربية ص ٤٩ ؛ والأدب العربي ص ٨٠ وسحر الشعر ص ٨٥ .

الحسنين ، بين صواب يفوز بثمرته أو خطأ يشارك في مكروهه • قال الأصمعي : فقلت له : أنت والله في كلامك هذا أشعر منك في ابياتك • فقد جعل الاصمعي – وناهيك به من امام في الأدب – كلام بشار المنثور شعراً اذ قال له : أنت في هذا الكلام أشعر • واسم التفضيل يقتضي المشاركة والزيادة ، فهذا أيضاً يدل على انهم لا يخصون الشعر بالمنظوم وان الشعر عندهم قد يكون منثورا »[٢٦] •

وينتهي الرصافي الى القول بان « المنظوم سمي شعراً لا لكونه ذا وزن وقافية، بل لكونه في الغالب يتضمن المعاني الشعرية ، وان شئت فقل لكون العرب في الغالب لا تنظم الكلام الا شعرا • فالوزن والقافية غير مأخوذين في مفهوم الشعر ، بل في مفهوم المنظوم ، وانما اخذا في مفهومه ليكون الكلام بهما من الاغاني لانهما ضروريان للغناء » •

الشعر من الفنون الجميلة :

والشعر عند الرصافي ركن من اركان الفنون الجميلة ، وهو والموسيقى في منزلة واحدة ؛ لانهما متلازمان ؛ ولان أحدهما متمم للآخر ، ولان الشعر لم يكن موزونا الا لأجل أن يتغنى به ، أي : لأجل أن يكون موسيقى ، ولو لا ذلك لما كان للوزن معنى ، فالشعر لا يقال الا لينشد أي ليتغنى به وعليه فالشعر والموسيقى متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر ، فاذا رأينا شاعراً يقول الشعر ولا يتغنى به ويلحنه ولا يقوله قلنا : « انه نصف شاعر » واذا ألصقنا الشخصين : قائل الشعر وملحنه أحدهما بالآخر كان كلاهما شاعراً واحداً بالمعنى الصحيح •

الشعر لا يختص ببلد :

والشعر لا يختص ببلد دون بلد ، ولا بشخص دون شخص ، ولا بأمة دون أمة ، وانما هو في كل أمة مظهر من مظاهرها في الثقافة العامة المشتملة على ما في تلك الأمة من أخلاق وعادات وتأريخ ودين وأساطير وخرافات ، وقد يجوز أن يقوم في بلد متأخر في الثقافة شاعر يبذ الشعراء الناشئين في بلد متقدم في الثقافة لان الشعر في كيانه الأصلي فطري المصدر غريزي المنبع ، وما العلم والثقافة الا من مهذباته ليس الا • فمن أجل هذا يرى الرصافي أن غاية الشعر من السمو والعظمة ليس لها حد معلوم حتى يصح أن يقول بان الشعر في بلد كذا قد بلغ

(٢٦) دروس في تاريخ آداب اللغة العربية ص ٥٠ ؛ وسحر الشعر ص ٨٦ .

غايته من السمو والعظمة ، فقد نرى شعراً سامياً عظيماً ولكن الزمان قد يأتينا بأسمى منه وأعظم ، وليس من المعقول ان نجعل المواهب الربانية الأدبية محصورة بين حدود معينة لا تتعداها ولا تتجاوزها .

ليس في الشعر امير :

وليس في الشعر أمير ولا مأمور ؛ اذ ليس فيه طاعة لأحد على أحد ، وأذواق الناس في الشعر لا تتجه الى جهة واحدة ، ولا تتفق فيه على مذاق واحد ، بل كل واحد من الناس حر مطلق في اتجاه ذوقه في الشعر وفي مذاقه منه . واذا كان هذا شأنه فكيف تصح فيه الامارة التي تستلزم الطاعة والخضوع لمن هو تحت أمرها . وينتهي الرصافي الى أن القول بان « الكلام في امارة الشعر وأميره سخف ما بعده سخف »[٢٧] .

الشعر العصري :

وللرصافي رأي في الشعر العصري صرح به للاستاذ رفائيل بطي ونشره في مجلة « الحرية »[٢٨] عام ١٩٢٥ ، وهذا الرأي هو أن الشعر لم يبلغ بعد غايته المطلوبة ؛ لان العرب أنفسهم لم يبلغوا بعد غايتهم المطلوبة لا في العلم ولا في غيره من مظاهر العصر الحاضر . ومن أسباب قصور الشعر عن بلوغ غايته العصرية قصور لغته عن تلك الغاية ، ويستحيل على اللغة العربية أن تقوم لها قائمة في هذا العصر ما لم تكن للعرب جامعة علمية عصرية بكل معنى الكلمة ، فمتى كانت لهم هذه الجامعة تقدمت لغتهم ، ومتى تقدمت اللغة تقدم معها الشعر وجاز له حينئذ أن يبلغ غايته في مجراه العصري . أما شعراء هذا الجيل فليس لأحدهم ـ عند الرصافي ـ شخصية بارزة حتى يؤثره على غيره مطلقاً ، وانما يقول عند سماع دعاويهم : « فلا أنت من ذاك القبيل ولا أنا » ، على أن أكبرهم أعرفهم بنفسه ، وأصغرهم اكبرهم دعوى فارغة .

وليس معنى هذا ان شعراء الجيل كلهم كأسنان المشط ، بل يفضل الرصافي بعضهم على بعض من وجوه مختلفة ، كأن يفضل حافظاً بنقاوة ألفاظه وصدق

---

(٢٧) مجلة الحرية العدد الاول السنة الثانية (تموز ١٩٢٥) وينظر ذكرى الرصافي ص ٢١١ وما بعدها .

(٢٨) العدد الاول السنة الثانية (تموز ١٩٢٥) ؛ وينظر ذكرى الرصافي ص ٢٢٦ .

تراكيبه ووضوحها ، وشوقيا ببعض معانيه ، ويرى أنه لا بد أن يكون للشعر العربي مستقبل زاهر اذا تهيأت له أسباب التقدم والرقي .

وتحدث الرصافي عن اتجاهات الشعر الحديث فقال بان الشعر في القرون الأخيرة « نسخة طبق الأصل » في تعابيره وتراكيبه ، اذ كان لا يصور من الحياة الا صوراً محدودة في ألواح المدح والهجاء والنسيب ونحو ذلك ، اما في اتجاهاته الحديثة فقد أخذ يصور أشياء كثيرة من صور الحياة على اختلاف ألوانها ومنازعها(٢٩) .

وقد رد على الذين يذهبون الى ان الشعر لم يتطور في العصر الحاضر ، يقول : « وقد بلغني ان بعض الكتاب من ادباء مصر في العصر الحاضر يدعى ان التقدم لم يكن الا في النثر ، وان الشعر لم يزل باقياً على ما كان في العصور المظلمة.

عجبا ، ان هذا انكار للواقع واصطدام بالطبيعة وقول بتخلف المسببات عن أسبابها ؛ لان المؤثرات التي استوجبت تقدم النثر هي بعينها موجودة في الشعر فكيف تقدم النثر دون الشعر ؟

وما أدري ماذا يعني بتقدم النثر ؟ ان كان يعني تقدمه في الاسلوب فلم يأتنا كاتب عصري باسلوب جديد خارج عن هذه الأساليب التي ذكرناها ، وان كان يعني تقدمه في الموضوع فقد أخذ الشعر العصري يماشي النثر جنباً لجنب في جميع مواضيعه العصرية الأدبية والاجتماعية والسياسية والروائية والتأريخية حتى العلمية ، واصبح الشعر كالنثر يمثل لنا في الجملة الحياة العصرية بجميع وجوهها ويطرقها من جميع مناحيها ولم يبق « نسخة طبق الأصل » كما كان قبل هذه النهضة الأخيرة .

ولو نظر في شعرنا العصري ناظر من أهل المستقبل بعد مضي قرنين أو ثلاثة لاستطاع في الجملة أن يرى في مرآته صوراً صادقة من حياتنا الحاضرة ، بجميع تفاريقها »(٣٠) .

الشعر المترجم :

وللرصافي رأي في الشعر المترجم ، يقول : « ان فيما اطلعت عليه من الشعر الأجنبي المعرب شعراً تروقني معانيه جداً غير أني لا أثق بامانة المترجمين في

(٢٩) ذكرى الرصافي ص ٢١٠ .

تصويرهم تلك المعاني كما هي في الأصل • ولئن كان النقل من لغة الى اخرى في غير الشعر صعباً فهو في الشعر أصعب ؛ لان الشعر قد يشير الى المعنى من طرف خفي اشارة يصعب نقلها الاّ على الماهرين من التراجمة • هذا من جهة المعنى واما من جهة اللفظ فقلما رأيت شعراً مترجماً كساه ناقله ألفاظاً تناسب معانيه بل أكثر ما رأيته سخيف المبنى وان كان شريف المعنى ولا ريب أن شراب المعاني ليس له غير الألفاظ من أوانٍ ، والشراب مهما كان مرموقا فانه يمجه الذوق اذا كان في اناء وسخ غير نظيف •

ولم أر مترجما للشعر الأجنبي نثراً أمهر من فيلكس فارس الخطيب المصقع الشهير في بيروت ، فقد قرأت له كثيراً من الشعر المترجم عن الفرنسية فكان حسناً جيدا • ولكني لم أرَ قط شاعراً أجاد في ترجمة الشعر الأجنبي نظماً ، على أني لا أنكر أن أكثر شعراء العصر ترجمة للشعر الأجنبي نظماً هو حليم دموس الشاعر الشهير في سورية ، ففي ديوانه شيء كثير من هذا القبيل • فالمبرزون ممن عرفتهم من تراجمة الشعر الأجنبي اثنان هما : فيلكس فارس في النثر وحليم دموس في الشعر »[٣١] •

طبقات الشعراء :

هذه آراء الرصافي في الشعر بصورة عامة ، أما رأيه في طبقات الشعراء فقد كتب عنها بحثاً في جريدته « الأمل »[٣٢] ، ونشره في كتابه « دروس في تأريخ آداب اللغة العربية »[٣٣] • وفي هذا البحث تحدث عن رأي القدماء في الطبقات وطرق تقسيمهم ، وعرض رأيه بادىء ذي بدء فقال : « نرى المتقدمين من أهل الأدب قد قسموا ، لا بل حاولوا أن يقسموا الشعراء الى طبقات متعددة ، فهل علينا ان نقبل ما قالوه في هذا الباب وان لم نحصل منه على طائل ؟

أما أنا فلم أهتد الى نتيجة معقولة مما كتبه القوم في مسألة طبقات الشعراء ولذا أريد أن أبدى لكم رأيي في هذه المسألة واذكر لكم ما قاله القوم فيها وبعد ذلك

---

(٣٠) دروس في تاريخ آداب اللغة العربية ص ٨٤ .
(٣١) مجلة الحرية العدد الاول ص ١٧ (السنة الثانية تموز ١٩٢٥) ، وذكرى الرصافي ص ٢٣١ .
(٣٢) الاعداد : ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، الصادرة في ٣ ، ٤ ، ٥ ، كانون الاول ١٩٢٣
(٣٣) ص ٥٧ ـ ٦٨ .

فاحكموا انتم بما شئتم »[٣٤] .

وبعد ذلك بدأ بذكر آراء القدماء والتعليق عليها ، والظاهر المتبادر الى الذهن هو ان الغرض من تقسيم الشعراء الى طبقات مختلفة ، تصنيفهم بحسب درجاتهم في الاجادة وفيما جروا عليه من أساليب الفصاحة والبلاغة ليتعين بذلك ما لكل صنف منهم من المنزلة في الأدب.ويرى الرصافي انه من الصعب جداً ايجاد طريقة للتقسيم موصلة الى هذا الغرض ؛ لان الشعر كالحسن لا يوقف له عند حد يحدد، بل كلاهما من الأمور التي تختلف فيها الأذواق اختلافا كبيرا ، ولذلك يصعب تصنيف الحسن الى درجات وتقسيم الشعراء الى طبقات متفاضلة .

ويرى الرصافي ان ما كتبه القوم في هذا الباب وتقسيماتهم التي وضعوها لبيان طبقات الشعراء ، مبهمة كل الابهام ، ومنها ما هو ناقص ، ومنها ما هو اعتباري محض . وان جميع الذين قسموا الشعراء الى طبقات مختلفة جعلوا مورد القسمة في تقسيمهم أحد ثلاثة أمور : الزمان ، أو الاجادة في الشعر والبراعة فيه، أو ما للشعراء من القصائد المشهورة .

أما الذين نظروا الى الزمان فاتخذوه مورد القسمة في تقسيم الشعراء الى طبقات مختلفة فقد جعلوهم خمس طبقات : الجاهليين والمخضرمين والاسلاميين والمولدين والمحدثين ، يقول الرصافي عن هذا المورد : « وما أدري أي فائدة في هذا التقسيم فان الغرض المقصود من تقسيم الشعراء الى طبقات غير حاصل به اذ بمجرد قولنا : ان فلاناً الشاعر هو من الجاهليين أو من المولدين لا تتعين منزلته في الأدب ولا مكانته في الشعر اذ من الجائز بل من الواقع ان يكون في المولدين من هو أشعر من بعض شعراء الطبقة التي فوقه وكذلك القول في الاسلاميين وكذلك في المخضرمين حتى ان شعراء الطبقة الواحدة من طبقات الشعراء الخمس مختلفون أيضاً في المنزلة فليسوا كلهم في منزلة واحدة في الشعر حتى يكونوا كلهم من طبقة واحدة »[٣٥] .

وأما الذين نظروا الى جودة الشعر ودرجة اجادة الشاعر فيه فقد قسموا الشعراء الى أربع طبقات فصلوا بعضها عن بعض بصفات اعتبارية مبهمة غير كافية

---

(٣٤) جريدة الأمل العدد ٥٣ ، ودروس في تاريخ آداب اللغة العربية ص ٥٨ .
(٣٥) جريدة الأمل العدد الرابع ، ودروس في تاريخ آداب اللغة العربية ص ٦٠ .

لتمييز كل طبقة من اختها فضلاً عن تمييز كل شاعر عن أخيه • وهذه الطبقات هي : الاولى وهي كل شاعر خنذيذ ، والثانية هي كل شاعر مفلق ، والثالثة هي الشاعر مطلقاً ، والرابعة الشعرور •

ولا يرى الرصافي هذا التقسيم وافياً بالغرض من وجوه :

الاول : لانه يعين المنازل تعييناً مبهما ويحدها بحدود غير واضحة ولا متفق عليها عند الناس ، وهي جودة الشعر ورواية الجيد منه •

والثاني : ان هذا التقسيم مبني على أمور اعتبارية اعتبرها المقسم وبنى عليها تقسيمه ، فلم لا يجوز لغيره أن يعتبر اموراً غيرها فيقسم الشعراء الى أكثر من أربع طبقات أو أقل ؟

والثالث : ان هذا التقسيم جعل الحد الفاصل بين الطبقتين الاولى والثانية رواية جيد الشعر، أي اشترط في الشاعر من الطبقة الاولى أن يكون راوية ايضا وهذا تحكم محض وتعسف بحت؛ لان رواية الشعر أمر خارج عن شاعرية الشاعر اذ يجوز أن يكون الشاعر مجيداً كل الاجادة في شعره ولا يروي من شعر غيره شيئا •

والرابع : ان هذا التقسيم اعتدى على الشعر وأسرف في القسمة بادخاله الشعرور في عداد الشعراء وجعله من الطبقة الرابعة ، ولا يمكن ان يدخل في الشعراء •

وأما الذين نظروا الى جملة من القصائد المشهورة وبنوا عليها تقسيم الشعراء الى طبقات مختلفة فقد جمعوا زهاء تسع واربعين قصيدة من قصائد بعض مشاهير الشعراء وجعلوا كل سبع قصائد منها على حدة فكانت سبعة أقسام سموا كل قسم منها باسم خاص فانقسم أصحاب تلك القصائد الى سبع طبقات هي : الاولى أصحاب المعلقات ، والثانية أصحاب المجمهرات ، والثالثة أصحاب المنتقيات ، والرابعة أصحاب المذهبات ، والخامسة أصحاب المراثي ، والسادسة أصحاب المشوبات ، والسابعة أصحاب الملحمات •

وقد جمع هذه القصائد ورتبها هذا الترتيب أبو زيد القرشي في كتابه « جمهرة أشعار العرب » • ويرى الرصافي اننا لم نستفد من هذا التقسيم سوى مجموعة شعر تحتوي تسعاً واربعين قصيدة ، ولم نعرف سوى منزلة تسعة واربعين شاعراً انقسموا الى سبع طبقات مترتبين في علو المنزلة من

الطبقة الاولى الى الطبقة السابعة • وليس كونهم كذلك بحقيقي بل هو اعتباري محض ؛ لأنهم لم يكونوا كذلك الا عند من انتخب هذه القصائد ورتبها هـذا الترتيب ، ومنحها هذه الالقاب ، وأنزل أصحابها هـذه المنازل ، وجعلهم في هذه الدرجات •

هذه هي التقسيمات التي ذكرها القدماء وهذه ردود الرصافي عليها ، واذا كان الأمر كذلك فما الرأي في تقسيم الشعراء الى طبقات ؟ يقـول الرصافي في خاتمة بحثه : « وخلاصة القول ان تقسيم الشعراء الى طبقات متفاوتة في رفعـة الدرجة وعلو المنزلة تقسيماً صحيحاً ينزل كل شاعر منزلته التي يستحقها صعب جداً يحتاج الى ذوق سليم وأدب غزير ونظر بعيد وتأمل طويل • وأنا مع ذلك لا أرى فائدة في تقسيم الشعراء الى طبقات متفاوتة ؛ لان الاجادة لا تنتهي الى حد معلوم ، ولاننا نستطيع في كل وقت أن نوازن بين شاعر وآخر ولكننا لا نستطيع أن نوجد حدوداً واضحة بحيث تشمل الشعراء الأولين والآخرين ، وتقسمهم الى طبقات ينفصل بعضها عن بعض بفصول بينة ، فلنضرب عن هذه المسألة صفحا وان جنح اليها المتقدمون وتكلموا عنها بما لم يجد نفعاً • أما اذا كان الغرض من تقسيم الشعراء الى طبقات هو ترتيبهم في الزمان لا في الاجادة فلا ريب ان المعول عليه هو التقسيم الأول من التقاسيم الثلاثة »[٣٦] •

وبذلك حاول الرصافي أن ينهي النزاع بين النقاد الذين شغلهم تقسـيم الشعراء الى طبقات زمنا طويلا •

٤

القوافي والاوزان :

ومما يتصل بالشعر الكلام على القوافي والاوزان ، وقد تحدث عنها الرصافي ولا سيما في كتابه « الأدب الرفيع » الذي قرر في مطلعه ان المتأدب الذي يعنى بالأدب ويشتغل به محتاج الى علم العروض والقوافي ، وعليه أن يدرسه لا ليكون شاعراً بل ليكون كاملاً في أدبه ، وليستعين بمعرفة قواعده ومصطلحاته على فهم ما يعرض له منها في أقوال الأدباء من منظوم ومنثور •

وقد ذكر رأيه في تعريف القافية فقال : « ان القافية كما تكون في اللغـة

(٣٦) جريدة الامل العدد ٥٥ ، ودروس في تاريخ اداب اللغة العربية ص ٦٨ .

بمعنى مؤخر العنق ، تكون بمعنى التابعة أيضا اذ هي من قولهم : « قفا أثره » اذا تبعه • ولما كانت القافية تشتمل على حرف الروي الذي يتبع به كل بيت ما قبله ، كان الغرض الأول منها هو التقفية ، أي : الاتباع بتكرار الروي • فالقافية انما سميت قافية ؛ لانهافي كل بيت تقفو - أي تتبع - البيت الذي سبقها بأن تأتي بروي مثل رويه • وبالنظر الى هذا يكون الغرض الاول من القافية هو حرف الروي الذي به تصير القافية قافية • وأما ما عداه من الأغراض كحرف التأسيس والرديف والمجرى وغير ذلك فانما هي أغراض ثانوية تتم بها التقفية »[٣٧] •

ويرى انه لابد في الكلام الموزون من قواف تمثل بتكرارها تلك النغمات المتكررة في الأغاني ، وعليه فالكلام الموزون بلا قافية مخالف للغاية المطلوبة التي لأجلها وجد الشعر وهي الغناء •

ويرد على الذين عابوا على الشعر قوافيه بانها تكرار ممل ، يقول : « ومن الغريب ان بعض الناس عابوا على الشعر قوافيه بانها تكرار ممل ، وذلك وهم منهم فان القافية لا تتكرر في الشعر بل تكرارها عيب عند العرب يسمى بالايطاء ، وانما يتكرر منها حرف واحد هو الحرف المسمى بالروي • فالمعنى في كل قافية غير المعنى في سواها من أخواتها • فمن أين جاء هذا التكرار الممل ؟ على أن تكرار بعض النغمات في الموسيقى أمر لا محيد عنه وهو مسموع ومألوف • وما تكرار حرف الروي في الشعر الا بمنزلة تكرار بعض النغمات في الموسيقى »[٣٨] •

والوزن في الشعر ضروري ؛ لانه وليد الغناء وقرينه ، ولما كان للغناء وزن وجب ان يكون الشعر مطابقا لما فيه من ألحان وايقاع ، وهذا هو الوزن الذي لا يخلو منه الشعر ، أما انه قد يكون غير موزون كما في الشعر المنثور فهذا ليس خروجا على القاعدة لان اطلاق الشعر على المنثور انما هو اطلاق بالمعنى العام اي من حيث انه يؤثر في النفوس تأثيراً شعرياً ، والا فالشعر بمعناه الخاص لا يجوز أن يكون غير موزون لانه وليد الغناء وقرينه الذي لا ينفك عنه[٣٩] •

وقد دعا هذا الرصافي الى أن يهتم بموسيقى الشعر ويدرسها دراسة تقوم

---

(٣٧) الادب الرفيع في ميزان الشعر وقوافيه ص ٨٨ .
(٣٨) مجلة الحرية العدد الاول ص ١٥ (السنة الثانية تموز ١٩٢٥) .
(٣٩) الأدب الرفيع ص ١١ .

على النظرة الفاحصة والاهتمام العظيم ، وله في ذلك آراء توضح وجهة نظره في بعض الاوزان الشعرية ، من ذلك رأيه في الرجز ، فهو أبسط أوزان الشعر وأسهلها على القريحة وأخفها على الطبع وأقربها الى النثر ، وليس بينه وبين الكلام المسجوع سوى وزن قريب المأخذ سهل التناول ، وهو أول مولود من الشعر وأقدمه ولم يكن للعرب الا لونان من الشعر : الرجزو القصيد ، يقول الأغلب العجلي :

أرجزاً تريدُ أم قصيدا لقد سألت هيّنا موجودا

ويبدي الرصافي رأيه في أصل الرجز فيقول : « ومن قال انّ الرجز مأخوذ من توقيع سير الجمال في الصحراء بحجة انه أول ما استعمله العرب لسوق الجمال في الحداء فقد أخطأ المرمى ، وكل من تأمل في الرجز منهوكه ومشطوره وفي سير الابل ، رأى بينهما بوناً بعيداً جداً لشدة تتابع أجزاء الرجز في اللفظ وسرعة انحدارها وتسردها في الفم عند الانشاد،وذلك ينافي سيرالابل الوئيد بسبب جسامتها وكونها فسيحة الخطى • ولا يلزم من استعمال الرجز لسوق الجمال في بعض الأحيان كونه مأخوذاً من توقيع سيرها • ومن الغريب ان صاحب هذا الرأي قد ادعى ان تقطيع الرجز يوافق وقع خطى الجمال مع ان في تقطيعه من سرعة الانحدار والتسرد وتدارك المقاطع ما ينافي كل المنافاة وقع خطى الجمال لما في تلك الخطى من التؤدة والرزانة بسبب انفساح مواقعها وطول القوائم المرتمية من تحت تلك الجثة العالية الضخمة • ولو سلمنا ان تقطيع الرجز يوافق وقع خطى الابل لما سلمنا انه يلزم من ذلك كون الرجز مأخوذاً من وقع تلك الخطى ، اذ لو لزم منه ذلك للزم أن يكون وزن الكامل ولا سيما مجزوؤه مأخوذاً أيضا من وقع خطى الجمال بطريق الأولى ؛ لانه يوافق وقع تلك الخطى أكثر من الرجز ويطابقها تمام المطابقة حتى انك لو امتطيت جملاً وجعلت وهو سائر بك سيراً وئيدا تنشد عليه شعراً من الكامل أو مجزوئه لرأيت عند تمام كل جزء من تفاعيله وقع يد من يدى جملك كما هو ظاهر للتأمل ، ولو أردنا أن نناقش صاحب هذا الرأي الحساب لطال الكلام ولكنا نترك ذلك لأولي الذوق السليم والنظر الصحيح »(٤٠) •

هذه آراء الرصافي في القافية والوزن ، ويتصل بها الحديث عن الشعر المنثور والشعر المرسل •

---

(٤٠) سحر الشعر ص ٩٥ ، ودروس في تاريخ آداب اللغة العربية ص ٥٥ .

الشعر المنثور :

أما الشعر المنثور فللرصافي ـ رحمه الله ـ رأي فيه ، قال وهو يتحدث عن الريحاني وجبران اللذين حملا لواء هذا اللون من الأدب : « رأيت لجبران خليل جبران عدة رسائل من الشعر المنثور العربي نحا فيه منحى أهل الغرب في الشعر الافرنجي • وأعرف أمين الريحاني اجتمعت به مرة في داره فأنشدني من الشعر المنثور ما يزري بعقود النحور وابتسام الثغور »(٤١) •

وتحدث عنه وسماه « الشعر الصامت » واستحسنه ، يقول : « وأما الشعر المنثور العاري من الوزن والقافية فهو شعر بالمعنى الأعم أي هو شعر بمعانيه التي تفعل في النفس ما يفعله الانشاد المقترن بالنغم والايقاع ، الا انه لا يتغنى به فعلا ، فهو اذن تقليد للشعر المنظوم من جهة الغاية المقصودة به • وحبذا لو سمي الشعر المنثور بالشعر الصامت لعدم اقترانه بالغناء والرقص ، وسمي المنظوم بالناطق لاقترانه بذلك • أما أنا فاستحسن الشعر المنثور واقول : به من حيث أنه خير واسطة لانباط القرائح واثارة العواطف لا غير،الا اني لا أفضله على الشعر المنظوم، لان هذا شعر منثور وزيادة اذ هو لاقترانه بالغناء يبلغ غاية الشعر المنثور من طريق أقصر ويتناول بيد أطول »(٤٢) •

وتحدث عنه أيضاً فقال : « وقد اشتهر بالشعر المنثور في عصرنا هذا رجال منهم أمين الريحاني وجبران خليل جبران • وهذان الشاعران وان كانا مجيدين في صناعتهما الا انهما ليسا من المبتدعين فيه على ما أرى بل من المتبعين لأهل الغرب والمقتبسين من آدابهم • وهما مع اجادتهما من الوجهة الشعرية كثيراً ما يتساهلان في استعمال مفردات الألفاظ وتراكيب الجمل على نمط ينبو عنه سمع العربية الفصحى كما يقوله النقادون لشعرهما • أما أنا فلا ألومهما على هذا التساهل ؛ لاننا اليوم في عصر ارتقى فيه طراز التفكير واختلفت فيه وجهة النظر مما كانت عليه في الأيام الخالية • فليس من الموافقة لروح هذا العصر أن لا ننشد الشعر فيه الا بلغة امريء القيس • ولا بد للشعر وللغة قبل الشعر من تقمصهما روح العصر وسيرهما مع الزمان وتطورهما بأطواره ، وليست اللغة سوى واسطة نعرب بها عن أفكارنا

---

(٤١) ذكرى الرصافي ص ٢٥ .

(٤٢) مجلة الحرية العدد الاول ص١٦ (السنة الثانية تموز ١٩٢٥)،وينظرذكرى الرصافي ص ٢٣٠ .

ونترجم عن حياتنا ونعبر عن حاجتنا • ولا ريب أن أفكارنا وحياتنا وحاجاتنا اليوم غيرها في زمن امرىء القيس فكيف نتقيد بلغته وهي قاصرة عن هذه الأفكار وهذه الحياة وسد الحاجات ؟ فيجب أن ننتفض من هذا الجمود وأن ننهض باللغة الى مستوى تكون فيه صالحة لأفكارنا منطبقة على حياتنا العصرية كافيـــة لحاجاتنا اليومية والا فعلى اللغة الســـلام •

وكثـــيراً مـــ ايـــرى الشـــعراء عبـــارة منثـــورة شـــعرية فيعقدونهـــا شعراً دون أن يزيدوا عليها شيئاً سوى الوزن كقول بعضهم وقد رأى هذه العبارة « ان زرتنا فبفضلك أو زرناك فلفضلك ، فلك الفضل زائراً ومزورا » فعقدهمـــا في هـــذين البيتين :

قالـــوا : يـــزورك أحمـــد وتـــزوره
قلـــت : الفضـــائـــل لا تفـــارق منـــزله
انْ زارنـــي فبفضلـــه أو زرتـــه
فلفضلـــه ، فالفضـــل في الحـــالـــين لـــه

وقد قيل عن الحكم في شعر المتنبي : ان أكثرها معقود من أقوال مأثـــورة للحكماء • فبهذا تبين لكم ان الشعر المنثور كثير في كلام العرب »[٤٣] •

ويقول في بحث آخر : « أما ما يدعيه بعضهم من الشعر المنثور في هذا العصر فتوسع منهم في معنى الشعر وخروج عن معناه الصحيح ؛ لان الشعر لا يكـــون شعراً الا بالانشاد ، والانشاد لا يكون الا بالوزن ، وليس الوزن الا توازناً وتقابلا في الحركات والسكنات التي تنطبق على توقيع الألحان في الغناء »[٤٤] •

فالرصافي يؤيد هذا اللون من الشعر ويرى فيما كتبه الريحاني وجبران فناً يقتضيه تطور الحياة الجديدة ولكنه يعود فيقول في « رسائل التعليقات » ان تسميته بالشعر توسع في معنى الشعر وخروج عن معنـــاه الصحيح • ولا بد أن يقـــف الرصافي من الشعر المنثور هذا الموقف وهو الشاعر الذي التزم بالوزن والقافية ، وهو الذي يقول في مزايـــا المنظـــوم على المنثـــور : « ان للمنظـــوم ثـــلاث مزايا امتاز بها على المنثور واختص بها من دونه : الاولى انه لا يستعمل في الغالب الا لبيان المعاني الشعرية ، والثانية ان الكلام فيه يكتسب بالوزن والقافية رونقـــاً

(٤٣) دروس في تاريخ آداب اللغة العربية ص ٤٧ .
(٤٤) رسائل التعليقات ص ١٠١ .

وحسناً يعلو بهما على المنثور ، والثالثة ان القابلية الشعرية فيه أكثر من القابلية الشعرية في المنثور »[٤٥] .

الشعر المرسل :

واما الشعر المرسل فقد أنكر الرصافي وجوده حينما قسم الكلام الى النظم والسجع والترسل ، يقول : « لنا في الكلام ثلاث طرائق : النظم والسجع والترسل ومدار هذا التقسيم انما هو على الوزن والقافية وعدمهما،فان الكلام اما أن يخلو من الوزن والقافية وهو الترسل ، واما ان يقترن بها وهو المنظوم ، واما ان يقترن بالقافية دون الوزن وهو السجع ، واما أن يقترن بالوزن دون القافية وهذا القسم غير موجود في كلام العرب »[٤٦] .

ويعلل عدم وجوده بقوله : « أما القسم الرابع وهو اقتران الكلام بالوزن دون القافية ، فقد قلنا انه غير موجود في كلام العرب ، وعدم وجوده أمر طبيعي لان القافية متقدمة على الوزن وجوداً بدليل وجود الكلام المسجوع قبل وجود الكلام الموزون ، وعليه يكون الوزن واقتران الكلام به بعد القافية تكاملاً طبيعياً على ما يقتضيه قانون النشوء والارتقاء ، فلو اقترن الكلام بعد ذلك بالوزن دون القافية كان اقترانه به دونها ارتداداً وارتكاساً في الطبيعة لان في ذلك رجوعاً الى الوراء وانحطاطاً من أوج التركيب الى حضيض البساطة »•

وأوضح ذلك في حديثه الذي نشره في مجلة « الحرية »[٤٧] فقال : « ان الغناء والرقص غريزتان من غرائز الانسان ، كما ان النطق غريزة فيه ، وما الشعر الا وليد هاتين الغريزتين فان النطق وهو أسنى مظهر من مظاهر الشعور لما اقترن بالغناء تولد الشعر • فالشعر لا يقال الا لينشد ، وبعبارة أخرى ليتغنى به فلا بدّ فيه من الوزن والقافية لان الغناء نغم وايقاع وهما لايكونان الا على تقاطيع متوازية من الكلام • ولم نعهد أمة من الأمم الغابرة ولا الحاضرة تغنت بشعر لا وزن فيه وغاية ما نراه من شعراء أوربا اليوم هو انهم يبعدون في القوافي ويتجوزون فيها لا انهم يهملونها بتاتا • وكما هم يتجوزون في القوافي يتجوزون في الوزن أيضا

---

(٤٥) دروس في تاريخ آداب اللغة العربية ص ٤٧ .
(٤٦) المصدر السابق ص ٤٢ .
ورد فى الكتب القديمة بعض هذا الشعر الذي نفاه الرصافي . (ينظر كتابنا النقد الادبي الحديث في العراق ص ٢٢٠ وما بعدها) .
(٤٧) العدد الاول ص ١٥ (السنة الثانية تموز ١٩٢٥) .

فلا يلتزمون في القصيدة الواحدة وزناً واحداً • وقصارى القول في طريقتهم هذه انها تشبه طريقة الموشحات عند العرب وأنا وان كنت لم أطلع على الشعر الفرنجي لعدم معرفتي لغة أجنبية فقد اطلعت على المترنجين من شعراء الاتراك الذين قلدوا شعراء الافرنج تقليداً مطلقاً ومشوا في أشعارهم على آثارهم واتبعوهم فيها حذوك القذة بالقذة ، فلم أَر شعرهم خالياً من الوزن ولا من القافية ، وانما هم ـ كما قلت آنفا ـ يبعدون فيها ويتجوزون وجل ما يتجلى لي من هذا الشعر الذي يسميه صاحبه بالمرسل انما هو اقتران الرعونة بالشعور وخلط السخافة بالظرافة وادغام التفاهة بالنباهة وطلب السمعة من وراء البدعة » •

والرصافي في ذلك يخالف جميل صدقي الزهاوي الذي دعا الى الشعر المرسل ونظم بعض القصائد من غير ان يلتزم بالقافية أو الروي •

٥

الصور البيانية :

وتحدث الرصافي عن بعض الصور البيانية ، ومن ذلك قوله عن الخيال : « لا ريب ان الخيال من أكبر أسباب النجاح في الأدب اذ هو الذي يحلى ما يرد على العقل من المعاني بصورة بديعة حتى يخيل للسامع معانيها وربما شخص المعنى المجرد عن الحس حتى جعله كالمحسوس كما شخص المتنبي الموت بقوله :

وما المـــوت الا سـارق دقّ شـخصُه
يصـــول بـلا كف ويسعى بـلا رجـلِ

ولولا الخيال بطل المجاز وبطلت الاستعارة في الكلام ، اذ لا شك انهما مبنيان على تخيل المشبه كالمشبه به وتنزيله منزلته في أمر من الأمور واذا بطل المجاز لم يبق لاداء المعنى سوى طريقة الحقيقة وبذلك يضيق مجال البيان الذي كان متسعاً بسبب أداء المعنى الواحد بطرق مختلفة في العبارة • وبهذا تعرف ما للخيال في الأدب من المنزلة السامية التي لولاها لقصرت الألفاظ عن تمثيل المعاني وتصويرها للسامع حق التصور لان الألفاظ محدودة والمعاني غـير محدودة ولا يمكن ـ لولا الخيال الذي هو أس المجاز ـ تصوير ما لا يتناهى بما هو محدود متناه »•

ويتحدث عن المجاز فيقول : « فالمجاز لا يلجأ اليه الأديب في كلامه الا لما يراه من قصور الألفاظ عن تصوير المعاني من طريق الحقيقة فقط ، ولي في هذا

الباب من قصيدة قلت فيها :

وما كل مشعور به في نفوسنا
قدير على ايضاحه المنطقُ الحرُ
ففي النفس ما أعيا العبارة كشفه
وقصر عن تبيانه النظم والشعْرُ
ويارب معنى دقَّ حتى تخاوصت
اليه من الألفاظ أعينها الخزْرُ
ويارب معنى حاك في صدر ناطق
فضاق من النطق الفسيح به الصَّدْرُ
أرى اللفظ محدوداً فكيف أسومه
كفاية معنى فاته العدُّ والحَصْرُ
وأفقُ المعاني في التصور واسع
يتيه اذا ما طار في جوه الفكْرُ
ولولا قصورٌ في اللغا عن مرامنا
لما كان في قول المجاز لنا عذْرُ(٤٨)

ثم ان الفائدة من الخيال لا تنحصر في اتساع مجال البيان به بل هو مع ذلك واسطة لتزيين الكلام بالصور البديعة الخيالية ، فالحقيقة المجردة تكون جافة اذا لم يكسها الخيال ثوبا من الطراوة والطلاوة »(٤٩) .

وتكلم الرصافي على التشبيه فقال تعليقاً على بيت الشاعر :

صاح في العاشقين يا لكنانة
رشأ في الجفون منه كنانه

« من التشابيه المرذولة والاستعارات المبتذلة التي جرى عليها الأولون وتبعهم الآخرون من الشعراء استعارتهم لعيون الملاح أو للنظرات الواردة منها الآلات الجارحة القاتلة كالسهام والسيوف . والوجه الجامع في هذه الاستعارة هو التأثير الكائن في كل من المستعار والمستعار له ، فكما ان السهم بنفوذه أو السيف بضربته يؤثر في جسم المضروب به كذلك النظرة الموجهة من عيون الحسان

(٤٨) تنظر الأبيات في ديوان الرصافي ص ١٨٢ .
(٤٩) دروس في تاريخ آداب اللغة العربية ص ٣٤ ، والأدب العربي ص٦٥ .

تستفز قلوب الناظرين اليها وتؤثر فيها بالحب تأثير السهم أو السيف في الجسم ، فمستعار السهم أو السيف لتلك النظرة تشبيه لها بهما .

ولعمري ان هذا التشبيه فاسد بالنظر الى الحقيقة ونفس الأمر ؛ لان المليحة الحسناء اذا رمتني بعينها الفاترة رمتني منها بنظرة ساحرة لم أشعر بألم يؤلمني بل أشعر بلذة ما فوقها لذة فكيف أشبهها بالسهم أو السيف وهما يؤثران فيّ بألم لا بلذة وهي تؤثر عليّ بلذه لا بألم ... ولو ان هذا الشاعر الذي ادعى قصيدته سبعون شاعراً جرى على الطريقة المألوفة في تشبيه العين بالسهم لعذرناه وقبلنا منه هذا التشبيه على علاته وان كان تشبيهاً فاسداً مبتذلاً قد مجته الأذواق وملته الأسماع ، ولكنه جاء فزاد الطين بلّة حيث أخذ كنانة ملأى بالسهام فأدخلها في أجفان الرشأ الغرير اذ قال : « رشأ في الجفون منه كنانه » . فيا للشعراء من رأى منكم ظبياً يحمل جعبة في عينه ، ويا للعجب كيف لم يخش هذا الشاعر أن يفقأ عيني غزاله حين دسّ بين أجفانه هذه الكنانة ؟ وما أقبح هذه العين التي صارت مخزناً تدخر فيه السهام . نعم اني اعترف بأن هذا الشاعر مغرم بالجناس ، فالجناس هو الذي حمله على أن يعذب هذا الرشأ بادخال الكنانة في عينيه ولا بأس في ذلك اذ لأجل الجناس يجوز أن يهان ظبي الكناس »[٥٠] .

فالرصافي يمقت التكلف أشد المقت ولا يقبل الصور المتداعية التي رددتها الأقلام زمنا طويلا ، ولاكنتها الألسن في الأجيال المتأخرة ، فالمجاز والتشبيه وصور البديع المختلفة ينبغي أن لا تثقل الأدب وتحيله هيا كل لا روح فيها ، ولذلك يقول عن نفسه :

لستُ بالشاعر الذي يرسل اللفظ
جزافاً لكي يصيب جناسه
أنا لا أبتغي من الشعر الاّ
ما جرى في سهولة وسلاسه
انما غايتي من الشعر معنى
واضح يأمن اللبيب التباسه[٥١]

ولكن هل سلم شعر الرصافي من هذه الصور التي نفر منها ونقدها نقداً عنيفاً؟

---

(٥٠) جريدة الأمل العدد ٣٥ (١١ تشرين الثاني ١٩٢٣) .
(٥١) ديوان الرصافي ص ٣١١ .

ان الباحث ليجد في شعره بعض هذه الصور التي كانت أثراً من آثار اتصاله بالشعر العربي في عصوره المتأخرة • ومن ذلك قوله :

يقيني شرّ فريتكم يقيني
بأنّ الله مطّلع قريب(٥٢)

وقوله :

قف بالديار الدارسات وحيّها
واقرا السلام على جآذر حيها(٥٣)

وقوله :

جاء الكتاب الليّ مذ لك به شفيت غليل صدري
فاليك يا (شكري) على هذا الصنيع عظيم شكري(٥٤)

أليس في هذه الأبيات جناس ؟

ومن ذلك قوله :

ولو شئت أرسلت الخديعة خلفه
تطارده حتى تضيق مذاهبه
ولكن أبى منى الخداعَ مهذّبٌ
تعود فعل الخير مذطرّ شاربه(٥٥)

أليس هذا التجريد عند البديعيين ؟ لقد جرد الرصافي من نفسه مهذبا تعود فعل الخير ، وبلغ مبلغاً صح معه أن ينتزع منه آخر مثله في تلك الصفات •

ومن ذلك المقابلة في قوله :

فهي ان أقبلت رأيت ابتساما
وهي ان أدْبرت رأيت قطوبا(٥٦)

وهذه الأمثلة القليلة في شعره لم تكن الا من تأثره بالشعر الذي حفل بمثل هذه الصور ، ولا يسلم شاعر منها وان دعا الى طرحها في مقالاته النقدية وكتبه وأحاديثه الأدبية •

---

(٥٢) ديوان الرصافي ص ٢٥٩ .
(٥٣) الديوان ص ٢٦٦ .
(٥٤) الديوان ص ٥٣٤ .
(٥٥) الديوان ص ٧٠ .
(٥٦) الديوان ص ٢٠١ .

وآراء الرصافي في البلاغة وفنونها قليلة ؛ لانه لم يؤلف فيها كتاباً أو يلـق محاضرة ، وانما جاءت متناثرة في بعض كتبه ومقالاته ، وهذه النتف القليلة تعطي فكرة واضحة عن اتجاهـه وعن نفوره من التصنع والاغراق في المحسنات البديعية التي تذهب بجمال الكلام .

٦

ومعظم آراء الرصافي نظرية ؛ لانه لم يمارس النقد كغيره من نقاد عصره وانما كان يلقي الرأي في مجالسه أو كتبه أو في الأحاديث التي يجريها الصحفيون ولكننا ـ مع ذلك ـ نجد له بعض المقالات النقدية التي يحاول فيها أن يطبق مـا يؤمن به على النصوص الأدبية ، ومن ذلك بحثه « نظرة انتقادية في الأدب » الذي نشره في جريدة « الأمل » وقد مرّ بنا بعض هذا البحث حينما تكلمنا على التشبيه وفيما ذكرناه يغني عن اقتباس نص آخر منه ، ويعطي صورة واضحة عن اسلوب الرصافي في نقد النصوص وتعليقه عليها .

ومن ذلك بحثه « نظرة اجمالية في حياة المتنبي » الذي نشره في جريدة « الأمل » ونشر بعده بكتاب ، وفي هذا البحث يبدو رأيه في المتنبي وشعره ، يقول: « وعندي ان المتنبي على علاته أرقى شاعرية من غيره فهو في الشعر العربي الأول والآخر ، وهو وان كان أرقى شاعرية من أبي العلاء الا انه أحط منزلة منه في نظري ، أي انبي أجل أبا العلاء أكثر منه لتعاليه عما تنازل اليه المتنبي »(٥٧) .

والرصافي يلوم المتنبي لانه لم يبق مرفوع الجبين دائما ، ولو وقف كمـا وقف أبو العلاء لفاق الأولين والآخريـن . وهـذه نظـرة لا يعتدّ بها كثيراً في الدراسات النقدية ؛ لان الناقد يلتفت الى العمل الأدبي أكثر من التفاته الى شخصيه الأديب أو حياته الخاصة التي قد لا يكون لها أثر في انتاجه ومنزلته الأدبية .

وقد جرت للرصافي حادثة تؤيد بأن الناقد ينبغي أن ينظر الى العمل الأدبي لا الى صاحبه ، يقول : « وهنا أود أن أذكر لكم حادثة طريفة وقعت لي مع مسعود افندي أخ شكري أفندي الآلوسي ، فكنت أتصل به دائما لانه كان يسكن الجامع مثلي . وفي يوم من الأيام قرأت عليه بيتاً من الشعر فاعجب به وكتبه ، وبعد كتابته

---

(٥٧) جريدة الأمل العدد ٢٤ (٢٩ تشرين الاول ١٩٢٣) وكتاب نظرة اجمالية فى حياة المتنبي ص ٦٧ .

سألني عن قائله ، فلما قلت له : « أنا الذي نظمته » ، ازدراه ومزق الورقة ورماها في الأرض ، فتأثرت كثيراً من هذا الحادث ، ولكن لم اظهر تأثري • وبعد أيام نظمت بعض الأبيات فقرأتها عليه ، وقلت له : « هذا من شعر المتنبي » ، فاعجب بها وكتبها ، وبعد ذلك أخبرته انها لي ، فلم يقل شيئاً » فقلت له هذه الجملة التي لا أنساهـا مطلقاً : « أنت ممن يعرفون الحق بالرجال لا الرجال بالحق »[٥٨] •

وللرصافي آراء في الخطابة والخطباء كالأمـير شكيب أرسـلان وصالح الشريف التونسي وأسعد شقير ومحمد كرد علي والشيخ رشيد رضا ومصطفى الغلاييني وفيلكس فارس وغيرهم • وقد أبدى رآيه في هؤلاء في كتابه « نفـح الطيب في الخطابة والخطيب » ، وهو رأي يقوم على دراسة ومتابعة لخطبهم •

هذه آراء الرصافي في النقد ، ويلاحظ انه شارك في حركة النقد التي بدأت تتبلور في الثلاثينات من هذا القرن • ولو انصرف ـ رحمه الله ـ الى الكتابة والنقد لجاء بكل طريف ، ولكنه شغل بالحياة السياسية التي كانت تلف العراق يومذاك لفا كاد يقضي على معالم البلاد ، ومضى يدافع عن الحق والحرية ويقارع الطغاة والمستعمرين بآرائه الحرة وقصائده الملتهبة • ولو أراد الرصافي أن ينصرف الى النقد والتأليف لكان له ما أراد ، ولكنه ضحى من أجل امته ووطنه ، ولم يترك الا بعض الآراء في النقد نثرها في كتبه ومقالاته وأحاديثه • وهذه الآراء مع قلتها تصور عقلية الرصافي المبدعة وذوقه الرفيع ، واحساسه الصادق •

ولعل ما ذكرناه يوضح جانباً من جوانب حياة الرصافي الفكرية ، ويعطي صورة عن النقد في أيامه •

---

(٥٨) مجلة الثقافة الجديدة . العدد الاول ص ١٥ (نيسان ١٩٥٤) •

المصـــــادر :

١ ــ الأدب الرفيع في ميزان الشعر وقوافيــه . معروف الرصافي . بغـداد ١٣٧٥ هـ ــ ١٩٥٦ م .
٢ ــ الأدب العربي . معروف الرصافي . بغداد ١٣٣٩ هـ ــ ١٩٢١ م .
٣ ــ آراء أبي العلاء المعري . معروف الرصافي . بغداد ١٩٥٥ م .
٤ ــ جريدة الأمل . معروف الرصافي بغداد ١٩٢٣ .
٥ ــ دروس في تأريخ آداب اللغة العربية . معروف الرصافي . بغداد ١٩٢٨ .
٦ ــ ديوان الرصافي . القاهرة (الطبعة السادسة) .
٧ ــ ذكرى الرصافي . عبدالحميد الرشودي . بغداد ١٩٥٠ م .
٨ ــ رسـائل التعليقات . معروف الرصـــافي . الطبعــة الثانيــة بيروت ١٣٧٦ هـ ــ ١٩٥٧ م .
٩ ــ الرصافي ــ صلتي به ، وصيته ومؤلفاته ــ مصطفى علي . القاهرة ١٩٤٨ .
١٠ــ سحر الشعر . رفائيل بطي . القاهرة ١٣٤٠ هـ ــ ١٩٢٢ م .
١١ــ على باب سجن أبي العلاء . معروف الرصافي . بغداد ١٩٤٦ م .
١٢ــ مجلة الثقافة الجديدة . بغداد . عبدالرزاق الشيخلي .
١٣ــ مجلة الحرية . رفائيل بطي . بغداد ١٩٢٥ م .
١٤ــ نظرة اجمالية فى حياة المتنبي . معروف الرصافي . بغداد ١٩٥٩ .
١٥ــ النقد الادبي الحديث في العراق . الدكتور احمد مطلوب . القاهرة ١٩٦٨ .